📚العناية شرح الهداية

دُرةُ الفقه الحنفي ومنارةُ التحقيق 🌟

يُعد التراث الفقهي الإسلامي بحرًا زاخرًا بالنفائس، وتبرز فيه المدرسة الحنفية كواحدة من أعرق المدارس التي أسست لقواعد الاستنباط والتدقيق. وفي قلب هذه المدرسة، يتربع كتاب **"الهداية "**للمرغيناني على عرش المتون، ليكون الكتاب الذي دارت حوله رحى الشروح والحواشي. ومن بين أهم هذه الشروح وأكثرها ذيوعًا وتحقيقًا، يبرز كتاب **"العناية شرح الهداية "**للإمام أكمل الدين البابرتي.

في هذه المقالة، نبحر في أعماق هذا الكتاب العظيم، لنستكشف منهجه، وقيمته العلمية، ومكانة مؤلفه.

👳أولاً: التعريف بالمؤلف (الإمام البابرتي)

لا يمكن فهم عمق الكتاب دون معرفة مؤلفه، فهو:
الإمام العلامة، أكمل الدين، محمد بن محمود بن أحمد البابرتي الرومي الحنفي)توفي سنة ٧٨٦هـ.(

- **نشأته وحياته :**وُلد في "بابرت" (من أعمال بغداد)، ورحل في طلب العلم حتى استقر به المقام في القاهرة، التي كانت آنذاك حاضرة العالم الإسلامي.
- **مكانته :**كان مقرباً من سلاطين المماليك (خاصة السلطان برقوق)، وتولى مشيخة "الخانقاه الشيخونية". عُرف بذكائه المفرط، وبراعته في علوم اللغة العربية، والمنطق، والأصول، والفقه.
- **تأثيره :**لم يكن مجرد ناقل للفقه، بل كان محققًا لغوياً ومنطقياً، مما انعكس بوضوح على أسلوبه في "العناية."

📖ثانياً: التعريف بكتاب "العناية" ومكانته

كتاب **"العناية "**هو شرحٌ مطوّل ومبسوط لمتن **"الهداية "**للإمام برهان الدين المرغيناني. ولعل "الهداية" هو الكتاب الذي قيل فيه: *"إن الهداية كالقرآن قد نَسخت.. ما صُنّف قبلها في الشرع من كُتب."*

لذا، جاء شرح البابرتي ليقوم بمهمة جليلة تتمثل في:

١. **فك العبارات المغلقة :**عُرف متن الهداية بإيجازه الشديد ودقة عباراته، فجاء البابرتي ليحللها لغوياً وفقهياً.
٢. **الدفاع عن المذهب :**الرد على الاعتراضات الواردة على المذهب الحنفي من المذاهب الأخرى بالأدلة العقلية والنقلية.
٣. **العناية بالحديث :**تخريج الأحاديث الواردة في المتن وبيان درجتها (وإن كان الاعتماد الأكبر في هذا الباب لاحقاً لكتاب "نصب الراية" للزيلعي).

🔍ثالثاً: منهج البابرتي في "العناية"

يتميز كتاب العناية بخصائص منهجية فريدة جعلته مرجعاً لا غنى عنه للفقهاء:

1.التحليل اللغوي والنحوي🗣️

البابرتي كان ضليعاً في اللغة العربية؛ لذا تجده يقف طويلاً عند إعراب الكلمات في المتن، ويشرح الدلالات البلاغية، ويوضح لماذا اختار صاحب الهداية لفظاً دون آخر. هذا يجعل الكتاب درساً في العربية والفقه معاً.

2.الاستدلال المنطقي والعقلي🧠

استخدم المؤلف علم المنطق في ترتيب الحجج، وسرد الأدلة، والرد على المخالفين. أسلوبه يتميز بالرصانة العقلية، حيث يذكر الدليل ووجه الدلالة منه بدقة متناهية.

3.الربط بين الفروع والأصول⚖️

لا يكتفي بذكر الحكم الفقهي، بل يربطه بالقاعدة الأصولية التي بُني عليها، مما ينمي الملكة الفقهية لدى القارئ.

4.حسن الترتيب والتقسيم📝

يمتاز الشرح بحسن السبك وجودة الترتيب، حيث يعرض المسألة، ثم يذكر الخلاف فيها (بين أبي حنيفة وصاحبيه، أو بين الحنفية والشافعية)، ثم يسوق الأدلة ويرجح ما يراه صواباً.

🤝 رابعاً: علاقة "العناية" بشرح "فتح القدير"

من اللطائف العلمية أن كتاب **"العناية "**غالباً ما يُطبع بهامش كتاب **"فتح القدير "**للإمام الكمال بن الهمام، أو يكون ملازماً له. والسبب في ذلك يعود لعدة نقاط:

- **التكامل :**ابن الهمام في "فتح القدير" يُعتبر محققاً وناقداً (وقد يخالف المذهب أحياناً لقوة الدليل)، بينما البابرتي في "العناية" يميل إلى تقرير المذهب وشرح المتن شرحاً بيانياً وتوضيحياً.
- **النقد :**كثيراً ما يتعقب ابن الهمام البابرتي في "فتح القدير"، فيقول: *"قال الشارح (يقصد البابرتي)... وفيه نظر."* ولذلك، فإن قراءة الكتابين معاً تعطي الطالب صورة كاملة (الشرح والتقرير من البابرتي، والتحقيق والتدقيق من ابن الهمام).

💎 خامساً: لماذا يجب عليك قراءة "العناية"؟

إذا كنت طالب علمٍ متخصصاً في الفقه، فإن "العناية" يقدم لك:

١. ✅ **فهم دقيق لمتن الهداية :**يزيل الغموض عن أعقد المتون الفقهية.
٢. ✅ **ثروة لغوية :**يدربك على قراءة النصوص التراثية وفهم تراكيبها.
٣. ✅ **ملكة جدلية :**يعلمك كيف تُصاغ الأدلة وكيف يُرد على الاعتراضات بأدب وعلم.

🏁 الخاتمة

إن كتاب **"العناية شرح الهداية "**ليس مجرد كتاب فقهي تقليدي، بل هو موسوعة علمية تمزج بين الفقه، واللغة، والأصول، والمنطق. لقد استطاع الإمام **البابرتي** رحمه الله أن يخلّد اسمه في سجلات العلماء بهذا السفر العظيم الذي لا يزال العلماء ينهلون من معينه العذب منذ القرن الثامن الهجري وحتى يومنا هذا.

🚀أبعادٌ أخرى في عالم "العناية": محاكماتٌ علمية ونفائسُ خفية

بعد أن استعرضنا الإطار العام لكتاب "العناية"، لا بد من التوغل في التفاصيل التي تجعل من هذا الكتاب "ميدانًا" للتدقيق العلمي وليس مجرد شرح عابر. هنا نستكمل الرحلة مع جوانب أكثر عمقاً:

⚖️أولاً: "العناية" في ميزان النقد (معركة الشروح)

من أهم ما يميز كتاب العناية هو دخوله في مقارنة دائمة مع الشروح الأخرى، وتحديداً مع كتاب **"فتح القدير "**لابن الهمام، وكتاب **"البناية "**للعيني. ويمكن تلخيص الفروق الدقيقة كالتالي:

.1بين "العناية" و"فتح القدير⚔️ "

- **دور البابرتي (العناية) :**يلعب دور "المحامي البارع" عن المتن (الهداية). فهو يسعى بكل جهده لتوجيه كلام المرغيناني، وإثبات صحته لغوياً ومنطقياً، والرد على من اعترض عليه.
- **دور ابن الهمام (فتح القدير) :**يلعب دور "القاضي المستقل". فهو يشرح المتن، لكنه قد ينسفه نقداً إذا ظهر له دليل أقوى، وكثيراً ما يتعقب البابرتي في شرحه.
- **النتيجة :**نشأ ما يسمى بكتب **"المحاكمات"**، حيث جاء علماء متأخرون (مثل قاضي زاده وسعدي جلبي) ليحاكموا بينهما، فيقولون: "اعترض ابن الهمام على البابرتي بكذا، والحق مع البابرتي لأن..." أو العكس. هذا الجدل العلمي أثرى المكتبة الفقهية بشكل مذهل.

.2بين "العناية" و"البناية🏗️ "

- **البابرتي :**يميل إلى **"الدراية) "**المعقول، والمنطق، واللغة.(
- **العيني (صاحب البناية) :**يميل إلى **"الرواية "**(الحديث، والآثار، والتاريخ)، نظراً لكونه محدثاً كبيراً (شارح البخاري).
- **لمن يقرأ الطالب؟** إذا أراد الطالب فهم الحجة العقلية والتركيب اللغوي فعليه بـ"العناية"، وإذا أراد التوسع في تخريج الآثار والنقل فعليه بـ"البناية."

📜ثانياً: حاشية "سعدي جلبي".. الرفيق الملازم للعناية

لا يكتمل الحديث عن العناية دون ذكر الحاشية الأشهر التي وُضعت عليها، وهي حاشية العلامة **سعد الله بن عيسى الشهير بـ "سعدي جلبي) "**ت ٩٤٥هـ.(

- **أهميتها :**تُطبع عادة في الهامش السفلي لكتاب العناية (في الطبعات القديمة كبولاق).
- **وظيفتها :**الدفاع المستميت عن البابرتي ضد انتقادات ابن الهمام.
- **أسلوبها :**دقيق جداً، عميق، وفيه نَفَسٌ فلسفي ومنطقي عالٍ. هي ليست للمبتدئين، بل للمنتهين من طلبة العلم الذين يستمتعون بفك الألغاز العلمية.

🧠ثالثاً: نموذج عملي من أسلوب البابرتي (كيف يشرح؟)

لنتخيل كيف يتناول البابرتي مسألة فقهية، ولنضرب مثالاً تقريبياً لمنهجيته:

عندما يقول صاحب الهداية عبارة موجزة، يأتي البابرتي ويقوم بـ:

١. **الإعراب" :**قوله (كذا) مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره..." ليثبت أن العبارة سليمة عربياً.

٢. **الاحتراز :**يقول: "وإنما قال المصنف (كذا) ولم يقل (كذا)؛ ليحترز عن المسألة الفلانية"، مبيناً دقة اختيار الألفاظ.

٣. **الدليل العقلي**" :ولأن الأصل في الأشياء كذا، والقياس يقتضي كذا، إلا أننا تركنا القياس للاستحسان ووجهه كذا.."، مرتباً مقدمات ونتائج منطقية.

هذا الأسلوب يجعل القارئ يشعر وكأنه في حصة "رياضيات فقهية" وليس مجرد سرد للأحكام.

💎 رابعاً: مميزات إضافية للكتاب

١. **العناية بأصول الفقه:**
البابرتي لا يمرر الفرع الفقهي دون ربطه بأصله. ستجده يكثر من عبارات مثل" :*وهذا مفرّع على قاعدة أن الخاص لا يلحقه البيان ."*...هذا يربط الطالب بعلم الأصول عملياً.

٢. **حسن التقسيم والتبويب:**
يتميز الكتاب بـ "الديباجة" أو المقدمة التي يضعها قبل كل باب، حيث يشرح العنوان، ولماذا وضعه المؤلف هنا، وما هي المناسبة بين هذا الباب والباب الذي قبله (علم المناسبات).

🖨️خامساً: طبعات الكتاب ونصيحة للاقتناء

لكتاب العناية تاريخ طويل مع المطابع، ومن أشهر طبعاته:

١. **طبعة بولاق الأميرية (الأصل)** :وهي العمدة، وغالباً ما يكون متن "الهداية" في الأعلى، وشرح "فتح القدير" يليه، ثم "العناية" بهامش فتح القدير، ومعها حاشية "سعدي جلبي". هي طبعة تراثية عظيمة لكن قد يصعب قراءتها على المعاصرين بسبب الخط وتداخل الحواشي.

٢. **طبعة دار الفكر/دار الكتب العلمية** :هي صورٌ أو إعادة صف لطبعة بولاق، وهي المتداولة بكثرة بين الطلاب اليوم (غالبًا في ١٠ مجلدات).

٣. **نصيحة** :عند شراء الكتاب، احرص على النسخة التي تتضمن **"فتح القدير + العناية + حاشية سعدي جلبي "**في مجموعة واحدة؛ لأن هذه الكتب يكمل بعضها بعضاً ولا غنى للباحث عن أحدها.

🌟كلمة أخيرة: لمن هذا الكتاب؟

كتاب **"العناية "**ليس كتاباً للمطالعة المسائية الخفيفة، ولا يصلح للمبتدئ في الفقه الحنفي. إنه كتابٌ موجه لـ:

- الفقيه الممارس الذي يريد تعليل الأحكام.
- الباحث في الدراسات المقارنة داخل المذهب.
- المحقق الذي يريد فهم عبارات "الهداية" المغلقة.

إنه **"مفتاح الهداية "**الذهبي، الذي صاغه البابرتي بعقل المهندس ولسان الأديب.

ش

رحم الله الإمام البابرتي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.
